

مساهمة شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله في التأريخ للجزائر
أثناء الاحتلال الفرنسي "الحركة الوطنية الجزائرية" نموذجاً.

~~~~~ أ. حاج عبد القادر يخلف \*

توطئة: نشأ أبو القاسم سعد الله نشأة علمية، جعلته يتميز عن أضرابه من معاصريه في صناعته، فقد كان أديبا وشاعرا جمع بين النظم والنثر كتابة، فأجاد وأطرب في كليهما، وإلى ذلك يضاف تألقه في التدوين لماضي الجزائر، مؤرخا وباحثا عن الوثائق والرسائل والمخطوطات، فكان يصول ويجول في دور العبادة والزوايا والخزانات داخل الوطن، فضلا عن المكتبات والمتاحف ودور الأرشيف والمراكز العلمية بصفة عامة، بالجزائر وكبريات العواصم العالمية والعربية، وكان مكوثه بأرض الوطن غالبا ما يكون لفترة قصيرة، ليشدّ الرّحال مجددا إلى حيث البحث عن الحقيقة التاريخية، كما كان قلمه السيّال لا يفارق يمينه في حلّه وترحاله، ثمّا جعله غزير الكتابة كثير التأليف، فاستطاع بذلك الوصول إلى القمة التي ينشدها جهابذة الفكر البارزين، حتى صار قدوة - بمعنى الكلمة - لكلّ باحث، فاستحقّق عن جدارة لقب شيخ المؤرخين الجزائريين.

كتاب الحركة الوطنية الجزائرية: للأستاذ سعد الله سجلّ حافل بالإنجازات العلمية، ومن أهم أعماله وآثاره التي تركها لنا: تحقيقاته لعدد من المخطوطات والوثائق والرسائل، وبالإضافة إلى التحقيق قام أستاذنا بترجمة عدد من المؤلفات غير العربية نقلها إلى العربية، بلغ عددها حوالي 20 عملا. كما ترجم للعديد من الشخصيات والأعلام خصّها بدراسات مستفيضة، أمّا أشهر مؤلفاته في التاريخ فهي: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، في خمسة أجزاء، تاريخ الجزائر الثقافي، في تسعة أجزاء، الحركة الوطنية الجزائرية في ثلاثة أجزاء، الذي سأحاول في بحثي هذا تسليط الضوء عليه، باعتباره أوّل عمل أكاديمي ساهم من خلاله سعد الله في التأريخ للجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي.

\*أستاذ مساعد صف "ب"، قسم التاريخ وعلم الآثار - كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية - جامعة وهران.

محتوى الكتاب: يقع كتاب "الحركة الوطنية الجزائرية" في مجموع أجزائه في 1881 صفحة، وقد قسمه إلى ثلاثة أجزاء، وجعل جزؤه الأول في قسمين، يغطي القسم الأول المرحلة الممتدة من 1830 إلى 1860، وصدر في دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1991، وأعدت المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر طبعة 1992. بينما يستوعب القسم الثاني الفترة ما بين 1860 و1900. وسبب هذا التقسيم للكتاب في جزئه الأول يعود إلى ضياع حقيبة الدكتور سعد الله، أثناء سفره صائفة 1988 بمطار لندن، إلا أن الأستاذ كان أرقن أربعة فصول خلال العام 1987-1988، في حين ضاع ما يقرب من نصف الجزء الأول بضياع جميع بطاقاته، وعلى إثر ذلك قام بنشر الفصول الأربعة، التي سلمت من الضياع في شكل قسم أول.

وبعالم الجزء الأول بقسميه الحركة الوطنية في صراعاها العسكري مع المحتلّين، الذين طّبّقوا حكما عسكريا مهولا على الجزائريين إلى سنة 1870، أو مارسوا حكما مدنيا متطرّفا حاقدا، على حين غفلة من أيّ تدخّل خارجي، فلم تعترض عليه لا تنظيمات سياسية أو قيادات ولا صحافة. فكان عهد الاستعمار في شكله العسكري والمدني، خلال القرن التاسع عشر صفحة سوداء، ملطّخة بدماء أطفال ونساء الجزائريين في العوفية وغار الظهرة ونارة والزعاوشة وايشريضان، دون ذكر الآلاف الذين أكلتهم السجون والمنافي في كورسيكا وسان مارغريت وغويان والمرتينيك وغيرها، بغضّ النظر عن المحرومين من أراضيهم ومساجدهم وكرامتهم<sup>1</sup>.

ويؤكد الدكتور سعد الله مجموعة من النقاط في هذا الجزء، أوّلها: تواصل المقاومة وترباطها، رغم صعوبة المواصلات وقلة وسائل الإعلام، ورغم البطش الاستعماري، ثانيها: ما كان للاستعمار أن ينجح وحده في احتلال الجزائر، لولا تعاون بعض المرتقة مع جيش الاحتلال وإدارته، وثالثها: تواصل العلاقات مع المشرق الإسلامي، رغم فرض العزلة على الجزائريين، وكان هذا الترابط مع حركاته وزعمائه أو مع مذاهبه وأفكاره<sup>2</sup>.

وأما القسم الثاني من الجزء الأول: فقد حصره في الفترة من 1860 إلى 1900، وقد انتهى منه في مدينة مينيابولس بتاريخ 16 مايو 1996، ليضيفها إلى القسم الأول، وقد طبع عدّة طبعات آخرها الطبعة الصادرة عن دار عالم المعرفة - الجزائر (طبعة خاصة، 2011). وقال سعد الله عن هذه المرحلة، بأنها تمثّل الجيل الثاني من الجزائريين، الذين عاصروا الاحتلال الفرنسي<sup>3</sup>، فأصبح يعتقد أنه يملك الجزائر دون منازع، وأنّ الشعب الجزائري استسلم للأمر الواقع، فصاغوا القوانين التي

تمكّنهم من السيطرة على كل شيء ومنها: قانون الأهالي أو "الأنديجينا" (Indigénat) الظالم، الاستيلاء على أراضي الجزائريين، محاربة القضاء الإسلامي، تجهيل الجزائريين بإهمال التعليم، وتبديل الحالة المدنية، وتحمل الجزائريون دفع الضرائب الثقيلة، وأرغموا على احترام القوانين الاستثنائية.

وتعرّضت الجزائر خلال مرحلة 1860-1900 إلى ثلاث موجات: كانت "المملكة العربية" (Le Royaume Arabes d'Algérie) عنوان أولها، الذي تبناه نابليون الثالث (III Napoléon) شعارا لسياسته في الجزائر، والتي اصطدمت بمعارضة أنصار الاستيطان، الذين اعتبروها حماية للعرب (الجزائريين)، تهيدا لإقامة مملكة يحكمها الأمير عبد القادر، ويكون نابليون الثالث إمبراطور الجميع، إلا أنه بعد سقوطه سنة 1870 حلتّ الموجة الثانية، التي اتخذت شعار "الحكم المدني الجمهوري"، فأقصت العسكريين عن السلطة انتقاما من الجزائريين لأنهم ثاروا سنة 1871، ودامت هذه الموجة عقدين كاملين (1871-1891)، وكانت أشدّ العهود قسوة على الجزائريين، أما الموجة الثالثة فقد تميّزت بتعيين جول كامبون (Jules Cambon) حاكما عامّا سنة 1891، وفيها قامت اللجنة البرلمانية بالتحقيق في الوضع بالجزائر، برئاسة جول فيري (Jules Ferry)، فكان من نتائج ذلك التراجع عن سياسة الإلحاق، ومراجعة سياسة التعليم الأهلي، والتعامل مع الطرق الصوفية<sup>4</sup>. كما أعيد النظر في السياسة الفرنسية الإسلامية، ولكنّ الموقف الرسمي ضلّ على حاله، يغضّ الطرف عن اغتصاب الأرض، وهميش القضاء الإسلامي، وحرمان الجزائريين من الحقوق، مقابل إخضاعهم لقانون الأهالي.

وبدأت إرهابات الوعي السياسي تلوح في أفق الثمانينات من القرن التاسع عشر، على أنقاض تجربة بدأها حمدان خوجة وزملاؤه تعود جذورها إلى الثلاثينات، حيث كتب الأعيان من جديد العرائض، وعبروا عن آرائهم في اللجان والمجالس المحلية، وفي كتب الرحلات والمناسبات الخاصة، وستشهد سنة 1877 ظهور "إرشاد المتعلّمين" بالقاهرة لعبد القادر الجاوي، وفي نفس العقد برزت إلى الوجود كتيبات ونشرات وعرائض معظمها بالفرنسية أو مترجمة إليها، وعندئذ بدأ أعيان الجزائريين يعتبرون الإعلام وسيلة من وسائل التعبير الفعّالة، فبرزت أفكار المكّي بن باديس وابنه حميدة، والدكتور الطيب مرسلّي، والدكتور محمد بن العربي، والتائب محمد بن رحوّال،

والمتعلم أحمد بن بريهمات وأصراهم، الذين تقدّموا برؤى جديدة مع مطلع القرن العشرين، أين بدأت النهضة في التعليم والصحافة والإصلاح الاجتماعي والتنظيم السياسي<sup>5</sup>.

ويتناول الجزء الثاني في محتواه دراسة الفترة ما بين 1900 و1930، وقد قدّم لها الدكتور سعد الله بفصل مدخلي طويل، يتعلّق بالحركة الوطنية في القرن الماضي، ثمّ تعرّض بعدها للحركة الوطنية بمختلف أطيافها وتعبيرها، بدءا بالتعبير الثقافي والنضال السياسي، ثمّ نشاطاتها الاجتماعية ليلبغ محطة المقاومة العسكرية، كما تناول بالدراسة كلّ حزب سياسي أو هيئة اجتماعية على حدة، مدرجا تراجم شخصية أعدّها للأفراد الذين أثّروا على هذه الحركة، وتطوّق أيضا لعلاقة الحركة الوطنية بالمذاهب المعاصرة التي تأثّرت بها، كالجامعة الإسلامية والشيوعية والديمقراطية، بالإضافة إلى علاقاتها بالقوات المركزية والعالم العربي، وأشار في الأخير أنّه لا يمكن دراسة الحركة الوطنية بمعزل عن ما كان يحوم حولها ويؤثّر فيها، وهو ما يحتّم علينا ربطها بالأحداث والمذاهب المعاصرة لها<sup>6</sup>.

ويقول شيخ المؤرّخين: "إنّ هذا الكتاب ليس دراسة عن الحكم الفرنسي في الجزائر، ولكنه دراسة تاريخية لحركة ردّ فعل الجزائري، الذي نتج عن ذلك الحكم"<sup>7</sup>. وقد صدر هذا الجزء مستقلاً عن دار الآداب ببيروت 1969 باللغة العربية، وهو ترجمة عن الإنكليزية للأطروحة التي تقدّم بها أستاذنا لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ من جامعة منيسوتا بالولايات المتحدة سنة 1965، كما ترجم إلى الفرنسية بعنوان: (La Montée du Nationalisme Algérien). وقد طبع بعد ذلك عدّة طبعات آخرها طبعة عالم المعرفة بالجزائر سنة 2011، وهي طبعة خاصّة صدرت بدعم من وزارة الثقافة في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، وهي تقع في 494 صفحة.

أمّا الجزء الثالث، فإنّه يشمل الفترة الواقعة بين 1930 و1945، صدر في عدّة طبعات آخرها طبعة الجزائر 2011، وقد قسّمه شيخنا إلى تسعة فصول، بدأها بمشاريع فرنسا في الجزائر، وتعرّض لتطوّر الحركة الوطنية في عقد الثلاثينات، ميرزا أهمّ محطّاتها فتحدّث عن حركة المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936، وعن جمعية العلماء وجمعية الطلبة، جماعة النخبة وهيئة النواب، نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري، إلى قيام الحرب العالمية الثانية، وكان أهمّ حدث سياسي فيها البيان الجزائري سنة 1943، الذي لم يأت بمجديد إلى نهاية الحرب العالمية، التي كانت منعرجا خطيرا

في مسيرة الحركة، بوقوع أحداث 8 مايو 1945 الدامية، وهي آخر فصل في كتابه هذا، الذي أتبعه بعدد من الملاحق ذات الصلة بالموضوع.

مصادر الدكتور سعد الله في كتابه الحركة الوطنية الجزائرية: تعدّ الأمانة العلمية ذروة سنام الكتابة التاريخية، التي تفرض على المؤرخ التقيّد بالتوثيق، الذي يضيف عليها الصبغة الأكاديمية العلمية. ومؤرخنا مَن جدّوا في طلب ذلك إلى أقصى ما يمكن جمعه منها، ففي الجزء الأوّل ذكر بعض المصادر والمراجع في نهاية كلّ فصل، كما جمع الوثائق والمذكرات والمراسلات والدوريات، فضلا عن الصحف والأعمال العامّة في أوّل الكتاب، تحت عنوان "ملاحظات على المصادر"<sup>8</sup>. وقد بدأها بأرشيف إيكس (Archives d'Aix en Provence)، والمراسلات وعددها ستة، ثمّ المجموع ومنها الاكتشاف العلمي للجزائر، الذي يعدّ عملا موسوعيا شاملا، صدر خلال سنوات 1840-1842، ثمّ من 1844 إلى 1867، وهو يضمّ 39 مجلداً، ويتعلّق بالعلوم التاريخية والجغرافية، والطرق التي سلكها العرب في الجزء الجنوبي من الجزائر وفي إيالة تونس. هذا بالإضافة إلى تقارير المؤسسات الفرنسية في الجزائر، من سنة 1838 إلى 1869 عن النشاط الإداري والاقتصادي والعسكري الفرنسي في الجزائر، فضلا عن الدوريات والجرائد باللغات الثلاث العربية والفرنسية والإنكليزية<sup>9</sup>. وقد بلغت موارده في الجزء الأوّل بقسمه الثاني في مجموعها: 248 من الكتب والمقالات العربية وغير العربية<sup>10</sup>. في حين بلغت في الجزء الثاني 170 ما بين مصادر ومقالات ودراسات. ويقول الدكتور سعد الله عنها: "ومن المصادر المستعملة هنا هي مقالات ووثائق لم يتح فيما يبدو استغلالها من قبل"<sup>11</sup>. وأمّا الجزء الثالث فقد بلغت مصادره حوالي 80 ما بين وثائق ونشرات وأطروحات وكتب وجرائد ومجلّات عربية وغير عربية<sup>12</sup>. وقال عنها شيخنا: "لقد ألحقت بالكتاب بعض الملاحق، التي رأيتها هامة لأنّها من الوثائق الأساسية في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، وهي غير معروفة في اللغة العربية حسب علمي، وقد قمت بترجمتها بنفسي، مع التنبيه عن مصادرها، كما وضعت قائمة ميوّبة بالمصادر، وهي لا تضمّ كلّ ما ورد في التعليقات من كتب ونحوها. وعلى من يريد الاستزادة أن يعود إلى هذه التعليقات، وإلى قائمة مصادر الجزء الثاني من الحركة الوطنية"<sup>13</sup>.

منهجه التاريخي في الكتاب: وظّف الدكتور سعد الله في كتابته التاريخية منهج الكتابة بحسب الأحداث والمواضيع، فهو عادة ما يذكر لنا الحدث والتاريخ الذي يرتبط به، إلّا أنّ القارئ يمكن

أن يلاحظ ترتيب أستاذنا للمواضيع في شكل عناوين، طُبّق عليها الترتيب الكرونولوجي، الذي يوافق المنهج المتبع في كتابة التاريخ بحسب السنين. فالترتيب الذي وضعه لمؤلفه "الحركة الوطنية الجزائرية"، من جزئه الأول إلى جزئه الثالث نجده يتدرّج فيه من المرحلة الأولى الممتدة من 1830 إلى 1900، والتي تميّزت - كما سبقت الإشارة إليه - بحكم عسكري جائر إلى سنة 1870، وساد ما بعدها حكما مدنيا لا يختلف عن سابقه إلا من حيث التسمية. وكان ردّ فعل الجزائريين على الأسلوبين معا حاضرا، طيلة هذه الفترة بمواصلة الصمود والتصدي، مستخدمين المقاومة التي استمرّت حتى مطلع القرن العشرين.

ومن حيث انتهى يبدأ مرحلة جديدة، يغطي فيها الحركة الوطنية بأحزابها السياسية وهيئاتها الاجتماعية، وأبرز شخصياتها وعلاقاتها بالمحيط الدولي، والمذاهب والإيديولوجيات المعاصرة إلى سنة 1930، التي جعلها محطة انتقالية بين المرحلة السابقة والمرحلة اللاحقة، وقد تناول فيها التطورات التي آلت إليها مختلف التنظيمات السياسية، مع الإشارة إلى أهمّ الأحداث السياسية منتهيا عند محطة أحداث 8 مايو 1945 الأليمة. ولما تقدّم يتضح لنا أنّ التسلسل الزمني كان يساير أجزاء كتاب الحركة الوطنية الجزائرية بشكل تصاعدي من نكبة الاحتلال سنة 1830 إلى مجازر مايو سنة 1945.

وللإشارة فإنّ الدكتور سعد الله وظّف المنهج الوصفي التحليلي، في مؤلفه هذا - الذي نحن بصدد الحديث عنه - وسائر مؤلفاته، ويمكن للقارئ أن يستشفّ ذلك في جميع أجزاء كتابه "الحركة الوطنية"، وهو نفسه يتحدث عن تحليله للمواضيع التي تناوّلها، ومن ذلك قيامه بتحليل العلاقة التي كانت قائمة بين الحركة الوطنية، وأهمّ الإيديولوجيات المعاصرة لها، من أجل الكشف عن تفاعلات هذه الحركة، أثناء الفترة ما بين 1900 و1930 من تاريخ الجزائر المعاصر<sup>14</sup>.

ويخبرنا شيخ المؤرّخين الجزائريين "أنّ بعض الفصول من الجزء الثالث كتبت في الجزائر، في حين كتب بعضها الآخر في القاهرة أثناء إقامة قصيرة، كان خلالها يعمل ليل نهار في الفندق الذي نزل به، من أجل إنجازها في الوقت المحدّد"، ويخلص إلى القول: "لعلّ ذلك أثر على روح بعض الفصول، فجعل أسلوبها يميل إلى العرض أكثر من التحليل"<sup>15</sup>.

ويرى الدكتور أحمد زغب، وهو أحد رفقاء شيخنا سعد الله، "أن المؤرخ الفقيّد قد ترك لنا منهجاً علمياً في البحث العلمي، جسّد ميدانياً خلال مسيرته في العطاء العلمي والفكري، المعتمد على الجدّة والتّزاهة، فكان هذا المنهج المتحرّك قدوة لكلّ الباحثين ومثلهم الأعلى"<sup>16</sup>.

أسلوبه وموضوعيته ورصيده الثقافي: رغم كون الدكتور سعد الله أديباً وشاعراً، تشهد له بذلك أعماله التي أنتجها في هذا المجال ومنها: "تجارب في الأدب والرّحلة"، طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر سنة 1986، ومجموعته القصصية "سغة خضراء"، طبعة المؤسسة السابقة الذكر، سنة 1986، و"النصر للجزائر"، الصادر عن نفس المؤسسة في سنة 1986، وهو كتاب جمع فيه قصائده الشعرية، وعددها اثنا عشرة قصيدة، فإنّ أسلوب شيخ المؤرّخين في كتابه "الحركة الوطنية الجزائرية"، في جزأيه الثاني والثالث غلب عليه بساطة اللغة التي يفهمها العام والخاص، وعلى بساطة أسلوبه فهو يجتذب إليه القارئ والسّامع على حدّ سواء.

- كما يميّز أسلوبه بالدقّة والضبط، فهو ضابط لتواريخه ضبطاً لا خطأً فيه، ولا نجده يتحدث عن حادث من الأحداث البارزة دون الإشارة إلى زمن وقوعه.

- ولا نجد فيما كتبه تناقضات تنقص من قيمة تأريخه، حيث قام بمعالجة مواضيعه بالرّجوع إلى الوثائق، لاستخراج ما يريد الوصول إليه من الحقائق، بكلّ حرّية وموضوعية، وقد ركّز على أهمّ الأحداث السياسية، المتعلّقة بموضوعه الحركة الوطنية، في إطارها الزمني والمكاني.

- تنوع مصادره وتعدّد غناها، إلى جانب تنوّع عناوين الأحداث، وقد شكّل ذلك مادّة التي كتب فيها، وتجدر الإشارة إلى ما تمكّن من جمعه من وثائق مختلفة بالجزائر وخارجها، ثمّ ساهم في إثراء كتابته في موضوعه.

- ونسجّل أيضاً التزامه بالموضوعية إلى أبعد الحدود، ذلك أنّ طبيعة الموضوع الذي يعالجه أقوى بكثير من ميله إلى التحيّز، فلم يكن تحت ضغط السّلطان، لأنّه يؤرّخ لوضع سياسي مضى وانقضى، حيث يقول عن شخصيات الحركة الوطنية ما بين 1930 و 1945: "إنّ الرّجال الذين ساهموا في صياغة تلك المفاهيم، قد انسحبوا اليوم من المسرح السياسي، إمّا بالموت مثل ابن باديس ومصالي والعقي والإبراهيمي وسعدان والعمودي، وإمّا بالسّنّ مثل عبّاس وابن جلول وأوزقان وكان آخرهم فرحات عبّاس، الذي توفي في 24 ديسمبر 1985، ولو ظل هؤلاء وأمثالهم في الحكم

أو في أماكن النفوذ والتأثير، لصعب على المؤرخ النفاذ إلى بعض الحقائق، ولواجه صعوبة حتى في إصدار أحكامه"<sup>17</sup>.

ويتعرض الدكتور سعد الله إلى مسألة في غاية الأهمية، ولعلها تعتبر من التابوهات الخطورة المسكوت عنها، لتعارضها مع الساسة والسياسة، فهو يتعرض إلى جدلية المثقف والسلطة عندما يتعلق الأمر بالكتابة عن عصره ورجاله، ولأن ذلك كان من المهمم التي ظلت تؤرقه، فقد عبر بصدق عن واقع الحال، حيث ضرب لنا مثلا بعقده مقارنة بين مؤرخي العالم الثالث، ومؤرخي الغرب فيقول في ذلك: "إن المؤرخين الأوروبيين والأمريكان تمهيمهم قوانين، وتشدهم تقاليد ويعززهم استقرار سياسي، وهي جميعا خصائص قلما تتوفر لمؤرخ في بلدان العالم الثالث، التي تمتاز بالتقلب السياسي والتعرض للضغط والتوجيه، وتفتقر إلى التقاليد العلمية والمنهجية، إن المؤرخ الأوروبي والأمريكي هو سيد نفسه وضميره وأدواته، أما المؤرخ في العالم الثالث فهو غالبا ما يكون عبد السلطة التي لا تكاد تثبت على حال"<sup>18</sup>.

ويؤكد شيخنا سعد الله، "بأن الموضوعية ليست كلمة تأدب أو موقفا محايدا، ولكنها محاكمة وحكم قد يكونا في بعض الأحيان قاسيين جدا"<sup>19</sup>. ولذلك فإن المؤرخ وهو يطالب بأن لا يكون عبدا للسلطة، فإنه أيضا لا ينبغي عليه أن يكون عبدا لنفسه وعاطفته، ويشبه هذا الوضع حال من هو بين المطرقة والسندان، وعن هذا الوضع يقول: "نحن (مؤرخو العالم الثالث) نواجه عقبة شاقة في كتابة تاريخ بلداننا، فالعاطفة ما زالت تلعب دورا أساسيا في تقييمنا للأشياء والحكم على الأحداث، وهذه العاطفة قد تكون خطرا على الموضوعية والبحث المجرد، ولكننا من جهة أخرى نحس أن علينا مسؤولية إنسانية نحو بلداننا في هذه المرحلة التاريخية، التي تقف فاصلا بين الاستعمار والتحرر، بين العبودية والحرية، ومنذ بدأنا نتحرر واجهنا الإجابة على هذا السؤال: هل نقف من أعمال الاستعمار موقف المدافع أو المهاجم؟ أو نقف منها موقفا آخر لا يهتم لا بالدفاع ولا بالهجوم، ولكن بالحقيقة وبالموضوعية؟"<sup>20</sup>.

ويواجه أستاذنا أبو القاسم هذه الحقيقة المرة بقوله: "وكان علي أن أصارع كثيرا من المهاجمين، قبل أن أكشف للناس عن حقيقة الكثر"<sup>21</sup>، وهو يقصد بذلك ما يتعلق بالحركة الوطنية من أسرار. ولكنه يعترف بـ "أن الباحث مهما بلغ من التجرد، لا يستطيع أن ينفصل عن زمانه ومكانه، عن مشاعره وميوله الثقافية والسياسية، ولا سيما إذا كانت تلك المشاعر والميول، قد

ولدت نتيجة هزة قويّة تاريخية في حياته"<sup>22</sup>. وهو يرى أنّ بلدا كالجزار تعرضت إلى امتحانات، وشخصياته إلى هزّات، ومفاهيمه إلى تعديلات جذرية، لا يمكن البتة كتابة تاريخه المعاصر بدون خطأ أو تحطّئة"، وينتهي إلى القول: " كنت وما أزال أعتقد أنّ المؤرّخ الحقّ يجب أن يترك للزمن، يعمل عمله في الأحداث التاريخية، قبل تناولها بالدرس والتحليل، فالبعد الزمني عنصر أساسي للوصول إلى الموضوعية المنشودة، والنظرة الزمنية القصيرة للمؤرّخ، ولا سيما إذا كانت من مواطن عاش الأحداث وشارك في صنعها، ستزجّ به في مناهة التفسير الشخصي، والحكم الذاتي"<sup>23</sup>.

وعلاوة على تكوينه الديني، فإنّ نشأة مؤرّخنا في بيت خلق وبيئة محافظة تدفعه إلى الاعتدال في القول والإنصاف في الكتابة، ومن الإنصاف أنّه لم ينقل لنا خبرا دون توثيق، وهو ما يجعل أسلوبه يتّصف بالصدق والمصادقية والثقة، التي تؤكّد صحّة وسلامة الحقائق التي نقلها إلينا.

وفي حديثه عن الجزء الثاني من كتابه الحركة الوطنية، يطلعنا على ما قام به من التنقيح، لتصحيح ما ورد فيه من أخطاء تاريخية ومطبعة، وعودته إلى النصّ نفسه، حيث شدّبه وهذّبه ما وسعته المعرفة والدّوق، ويرجع ذلك - حسب رأيه - إلى أنّ العمل المترجم ليس كالعامل الموضوع، وأنّ الأمانة العلمية فرضت عليه أن يحافظ ما أمكن على الأصل، وأنّ القارئ بإمكانه أن يلحظ ذلك بالمقارنة بين أسلوبه كمتّرجم في الجزء الثاني، وأسلوبه كمنشئ في الجزء الثالث<sup>24</sup>.

والواقع أنّ أسلوب شيخ المؤرّخين في الجزء الأوّل في قسمه الأوّل يختلف عن أسلوبه في الجزأين الثاني والثالث، ذلك أنّه استخدم في كثير من الحالات والمواطن التقفية السجعية النثرية، بالإضافة إلى المحسنات البديعية اللفظية أو المعنوية، ومن ذلك مثلا قوله عن المقاومة في قسنطينة: "وبعد سكوت المدافع، جاء دور المقاومة الشعبية في المنازل والشوارع، فكانت ملحمة دموية تشهد على عمق الإيمان، بالحقّ وإصرار الباطل على الإيمعان"<sup>25</sup>. وقال في مكان آخر: "وإذا كان الكذب رذيلة في جميع الشرائع وعند الأفراد، فهو عند بعض الدول فضيلة .. إلى قوله: سيرفعون الصليب ويخفضون الهلال في الجزائر"<sup>26</sup>. وأورد في موطن آخر قوله: "إذ هناك من شطح خياله، فاعتقد أنّ فرنسا قد استيقظت من جديد لتلعب دورها الديني والعسكري"<sup>27</sup>. وقوله: "إنّ فرحة بورمون (Bourmont) بالنصر قد شابتها مرارة العلقم"<sup>28</sup>، وقوله أيضا: "لذلك يمكن القول إنّ

نشاط جمعية العلماء لم ينقطع خلال الحرب، ولكنه كان هادئاً كالجداول الصغير لا هادراً كالنهر الكبير<sup>29</sup>.

ونجده يستشهد بالشعر العربي في بعض الأحيان، حيث يكون لذكره معنى وارتباط بالموضوع أو الحادثة التاريخية، ورغم كونه شاعراً فهو لا يستخدم شعراً خاصاً به في تأريخه للحركة الوطنية، وأنّ ما ورد فيه من الشعر على قلته هو نقل عن غيره للضرورة التي تقتضيها خدمة الحقيقة التاريخية، ومن ذلك ما عبّر به الشاعر الكبير محمد بن الشاهد، الذي كان قد تولّى الفتوى قبل الاحتلال، وأصبح بعد سنة 1830 طاعناً في السنّ فاقداً للبصر، قال على لسان مواطنيه يرثي مدينة الجزائر، بعد احتلالها قصيدة طويلة مطلعها:

لبست سواد الحزن بعد مسرة  
وعمت بواديك الفتون بلا حصر  
رفضت بياض الحق يوماً فأصبحت  
نواحيك تشكو بالأمان إلى الجور  
إلى قوله: أموت ومما تدري البواكي بقصّتي  
وكيف يطيب العيش والأنس في الكفر<sup>30</sup>

وفي موطن آخر يقول: وقد كان لسان حال كثير من أهل المدن التي وقعت فريسة الاحتلال قول الحكيم المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى  
عدواً له ما من صداقته بد<sup>31</sup>  
وفي موضع آخر ينقل إلينا ما قاله أحد أدباء قسنطينة وفقهائها ينعي الهجرة إلى الشام سنة 1847:  
يا أهل بلد الهوى ضعوا رحالكم فما  
الرحيل عنها إلاّ من الغلط<sup>32</sup>  
وهذا البيت الشعري منسوب للشيخ الشاذلي<sup>33</sup>.

وقد يستشهد بالشر من البيت، كما في قوله: فالذين رشّحوه "أي لافيغري" (Lavigerie) ندموا على رأيهم فيه، "ولات ساعة مندم"<sup>34</sup>.

قال الفراء لا أحفظ صدره<sup>35</sup>، ونقله ابن السكيت في كتاب الأضداد عن ابن الأعرابي فأنشد:

ولتعرّفن خلائقاً مضمولةً  
ولتندمنّ ولات ساعة مندم<sup>36</sup>

قال ابن عمر البغدادي: ورأيت ابن عقيل وغيره ذكر للبيت الشاهد رواية غير ما نقلناه، جعله صدرا وتممه بعجز كذا من الكامل:

ندم البُغاةُ ولات ساعة مندم      والبغيُّ مرتعٌ مبتغيه وخيم<sup>37</sup>

ولقد استعمل الدكتور سعد الله مثلاً شائعاً في قوله: "الطيور على أشكالها تقع"<sup>38</sup>، وهذا المثل عجز بيت شعري لـ (عمر الأنسي) في قصيدة من البحر البسيط:

الشمس غابت ببرج الثور واحتجبت

وقارن الثورَ من وحش الفلا الضعُ

فقلت أحسنت يا هذا مشاكلة

إنَّ الطيورَ على أشكالها تقع<sup>39</sup>

وَمَا يلاحظ على الدكتور سعد الله، طغيان الثقافة الدينية على كتابته، لا سيما في الجزء الأول من الحركة الوطنية- الذي سبقت الإشارة إليه- بحيث يورد عبارات مقتبسة من التعبير القرآني، أو من السنة النبوية الشريفة، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها قوله: والسَّحابة تحوَّلت إلى ظلمات بعضها فوق بعض، فقوله "ظلمات بعضها فوق بعض"، يطابق جزءاً من آية في قول الحق سبحانه عزَّ وجلَّ: {أو كظلمات في بحرٍ لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور}<sup>40</sup>.

وقوله عن قسنطينة: وهي أيضاً قاب قوسين من تونس<sup>41</sup>، فقد استعمل عبارة "قاب قوسين"، التي تطابق قوله سبحانه وتعالى: {فكان قاب قوسين أو أدنى}<sup>42</sup>. وفي موطن آخر ذكر لنا دخول كلوزيل (Clauzel) إلى معسكر فقال: إذ دخلها جيش كلوزيل فوجدها "خاوية على عروشها"، ويتطابق هذا مع الآية الكريمة: {أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها}<sup>43</sup>، ثم يواصل حديثه قائلاً: فادَّعى أنَّها غير ذات أهمية، وخرج منها مذموماً مدحوراً<sup>44</sup>، فهذه الجملة الأخيرة جزء من قول العزيز الحكيم: {من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثمَّ جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً}<sup>45</sup>.

وقال عن فتنة الاستعمار وكيف تعامل الشعب مع هذه الفتنة: "كلَّما أوقدوا ناراً للفتنة أطفأها الله، وحال الشعب بينهم وبين ما يشتهون"<sup>46</sup>، وَمَا يلاحظ على الجملة: كلَّما أوقدوا ناراً للفتنة أطفأها الله، أنَّها اقتباس من آية لم يغيَّر فيها إلا كلمة "الحرب" التي استعمل بدلاً منها لفظ

"الفتنة"، وفي الآية: {كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ..} <sup>47</sup>، وقال أيضا يصف القيادة الفرنسية في عنابة: "ومن سوء حظ هذه القيادة إلى الآن لا نجد فيها رجلا رشيدا" <sup>48</sup>، وكان اقتباسه هاهنا من قوله تعالى: {وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلَ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزَوْا فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} <sup>49</sup>.

وعندما تعرّض للمقاومة العسكرية في قسنطينة، أشار إلى الضائقة التي حلّت بحاكمها، وقد أصبح يعيش خوفا شديدا، فهو يصف حالته هذه بقوله: "وهكذا لم تأت سنة 1837، حتى كانت قوّة الحاج أحمد باي في الحقيقة قد اعترها الضعف والوهن، وكاد يصبح سجين عاصمته، لا يخرج منها إلّا خائفا يترقب" <sup>50</sup>، وهذا التعبير نظير ما ورد في الآية الكريمة: {فخرج منها خائفا يترقب قال ربّ نجني من القوم الظالمين} <sup>51</sup>. كما يشير إلى حال الفرنسيين في حملتهم على المدينة المذكورة، بأنهم لم يكونوا على رأي واحد مع قائدها كلوزيل، وقد وصف لنا هذا المشهد بقوله: "وأما الفرنسيين فقد تنازروا بالألقاب" <sup>52</sup>، وذلك نظير قوله تعالى: {وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ..} <sup>53</sup>.

ويرى لنا شيخ المؤرخين حالة أولئك الذين كانوا ينظرون إلى الجيش الفرنسي بعين الرضى، معتبرينه جيشا متحضرا وكيف بدت الحسرة عليهم، وهم يشاهدون تلك المجزرة التي ارتكبتها في حقّ الشعب الجزائري، فيما عرف بالأحداث الدامية لـ (8 مايو 1945)، حيث قال: "إنّ الذين امتدحوا الجيش الفرنسي وأعوانه على ممارسته وفعاليته أثناء تلك الحادثة، قد عضّوا - فيما بعد - الأنامل من التدم على ما فعل هذا الجيش وأعوانه" <sup>54</sup>. وإذا تأملنا في هذا الذي ذكرنا عبارة "عضّوا الأنامل من الندم"، وجدنا أستاذنا يقتبس من قوله تعالى: {ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كلّ، وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلّوا عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم، إنّ الله عليم بذات الصدور} <sup>55</sup>.

وإذا كان الدكتور سعد الله كثير الاقتباس من الذكر الحكيم، فإننا لا نجد كذلك بشأن السنّة النبوية، التي لم يكن اقتباسه منها إلّا في حالات نادرة، ومثال ذلك ما ذكره في حقّ مصطفى بن الحاج عمر، الذي عيّنه كلوزيل بايا على التيطري، حيث قال فيه: "ثبت أنّه إمعة من الإمعات، التي حاول الفرنسيون أن يختفوا وراءها في حكم الجزائر واضطهاد سكانها" <sup>56</sup>. وقد ورد هذا اللفظ في الحديث الذي رواه الترمذي في جامعه الصحيح، عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لَا تَكُونُوا إِمْعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ

إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا}، وقال: الترمذي قال: أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه<sup>57</sup>.

وأشار في موطن آخر إلى "أن الناس لم يكونوا كما تتعتهم الوثائق الفرنسية متفرجين على المأساة التي حلت بهم، ولكنهم كانوا... يعملون ويفكرون في رفع هذا الكابوس وتغيير المنكر"<sup>58</sup>؛ فهو إذ يصور لنا الوضع الحرج الذي كان يعيشه الجزائريون حينئذ، ينقل إلينا اجتهادهم في تغيير المنكر، الذي أمر المسلمون بإزالته حالة وقوعه بالطرق التي أشار إليها الحديث النبوي الشريف، وقد ذكر معنى الحديث دون أن يورد لنا نصّه. ونصّ الحديث نجد في كل كتب الصحاح وهو: عن أبي سعيد الخدري قال: {سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكماً منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان} رواه الشيخان<sup>59</sup>. واستخدم أستاذنا في أماكن أخرى مصطلحات فقهية، كلفظ الاعتكاف وهو يريد بها الركون والبقاء بعيداً عن أعين الاستعمار، كما في قوله: "لعلّ هناك نوعاً آخر من الناس فضّلوا الاعتكاف في بيوتهم أو في المساجد داعين الله للخلاص والتجاة ثمّا حلّ بالبلاد من لعنات"<sup>60</sup>.

وإذا تقدّم الكلام عنه يتضح لنا أنّ شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله كان صاحب ثقافة واسعة وغزيرة، منبعها البيئة التي ولد فيها والعالم الذي ينتمي إليه، ومن ثمّ فقد اصطبغت هذه الثقافة بالصبغة الدينية، التي أثرت في شخصيته وبدا ذلك جلياً للعيان في كتابته، التي نضحت بما كان يزدحم في خلجات نفسه من كلمات، ويجيش في خاطره من أفكار وهموم وتأمّلات وتفسيرات وأحكام، مردّها إلى لون هذه الثقافة التي جسّدت شخصية مؤرخنا، وعكست كنهه بما نطق به لسانه وكتب به يراعه.

مكانة الدكتور سعد الله مؤرخاً: ساهم العديد من وجوه النخبة الجزائرية والعربية والأجنبية البارزة في كتابة مقدمات الراحل أو مراجعتها وتقديمها، وما ذلك إلا دليل على حجم الرجل وشموخه وثقل وزنه، في مجال الفكر والثقافة بما قدّمه من إنتاج أدبي وتاريخي، ومن الذين كتبوا له تصديرات كتبه التاريخية نذكر على سبيل المثال: بطرسفان سيفر من جامعة يوتا، الذي راجع تاريخ الجزائر الثقافي في المجلة التاريخية الأمريكية، كما قام الدكتور ناصر الدين سعيدوني بنفس العمل لهذا المؤلف، بالإضافة إلى تاريخ الجزائر بنظرات سعد الله للدكتور جورج سالم حجاز، ولملمة تاريخ الجزائر الثقافي، وهي مراجعة لآلان كريستول من جامعة آدا هو بأمريكا<sup>61</sup>.

نقل إلينا الأستاذ الطاهر عمارة الأدغم ردّ شيخنا سعد الله على رسالة معايدة، بعث بها إليه بمناسبة عيد فطر سنة 1434 هـ / 2013 م، جاء فيها قوله: "كم أودّ أن أكون ابن بطوطة وعمرى ثلاثين سنة يمكنه أن يحملني إلى كلّ مكان غير مكتشف. ولكن هيهات هيهات!"<sup>62</sup>. ولعلّ هذه ما حمل الدكتور أحمد زغب على قوله: "إنّ الدكتور سعد الله كان بمثابة ابن بطوطة عصره، بالنظر إلى ترحاله بحثا عن الوثائق في الوطن وخارجه، من أجل كتابة تاريخ الجزائر"<sup>63</sup>. وفي ذات السياق يرى الأديب والقصّاء بشير خلف، رئيس الرابطة الولائية للفكر والإبداع بالوادي- الذي عرف المرحوم سعد الله بحكم الجوار في مسقط رأسه- "بأنّ الرّاحل لم يكن يكتب التاريخ كهواية، بل على دراية تامّة ووعي كامل، فكان يستقيه من الوثيقة التاريخية، التي يبحث عنها في الحواضر العربية والعواصم العالمية"<sup>64</sup>.

وأما الدكتورة فوزية محمد بربون، فهي تقول عنه: "كان رجلا مفكراً موسوعياً، باحثاً ومؤرخاً ومتقفاً رفيع الطراز، قضى في خزائن كنوز المعرفة، سواد شبابه وبياض شيخوخته، ولم يفارق القلم يمينه، حتى عندما طلب منه الأطباء التوقف عن الكتابة، في مرضه الأخير، فلقد كان ذلك هو فسيلته، التي أراد أن يسقي بمدادها تربة الفكر قبل أن يلاقي ربّه"<sup>65</sup>. وإذا تأملنا في إصراره على الكتابة وهو في هذه الحال، أدركنا أنّ الرّجل كان يطمح إلى تحقيق المزيد من الإنتاج العلمي، ويخاف أن تنطفئ شمّعته قبل بلوغ مراده. فقد قال ذات يوم للدكتور جمال يحياوي، مدير المركز الوطني للبحث في تاريخ الحركة الوطنية، متحدثاً على لسانه: "يا أخي جمال أشعر أنّ أجلي قريب، وقد صارت أيامي معدودات، لكنّ مشاريعي مازالت كبيرة، فكيف يحقّ لي أن أضيع دقيقة واحدة من حياتي"<sup>66</sup>.

الخاتمة: يعدّ سعد الله قامة سامقة، كما يعتبر من أولي التّهي وأرباب القلم، في تاريخ الفكر والثقافة والإبداع الأدبي والتدوين التاريخي في الجزائر المعاصرة، يقف شامخاً شموخ الجبال الشاهقات، مع من سبقوه من العلماء الذين صرفوا معظم أوقاتهم في البحث والتعليم والتدريس، وقضوا عمرهم في خدمة العلم والمعرفة، وهم يحملون همّ الأمّة، لدرء ما طمّ من الفساد وعمّ، وكشف ما أصابها من الغمّ، يحذوهم في ذلك الأمل والطموح إلى تحقيق وثبة نوعية، تخرج وطنهم من أحوال التخلف إلى عالم التقدّم والرفق والازدهار بسلطان العلم ليس إلّا.

وفي هذا المعنى قال الحافظ ابن عبد البر النمري: "ولو أغفل العلماء جمع الأخبار وتمييز الآثار، وتركوا حجة كل نوع إلى بابه، وكل شكل من العلم إلى شكله لبطلت الحكمة، وضاع العلم ودرس، وإن كان لعمري قد درس منه الكثير لعدم العناية وقلة الرعاية، والاشتغال بالدنيا والكلب عليها، ولكن الله يقي لهذا الدين (العلم) قوماً - وإن قلوا - يحفظون على الأمة أصوله ويميزون فروعه، فضلاً من الله ونعمة، ولا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم منه الآخر"<sup>67</sup>. وخير ما أختتم به كلامي عن هذا الرجل العظيم، ما قاله اللغوي والأديب ابن السيد البطليوسي، في قصيدة من بيتين وهي من الطويل، حيث قال:

أخو العلم حيّ خالدٌ بعد موته      وأوصاله تحت الثراب رميمٌ  
وذو الجهل ميتٌ وهو ماشٍ على الثرى      يُظنُّ من الأحياء وهو عديمٌ<sup>68</sup>

#### الهوامش:

- 1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، عالم المعرفة - الجزائر، طبعة خاصة 2011، الجزء الأول، القسم الأول، ص.7.
- 2- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص.8. — 3- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، عالم المعرفة - الجزائر، طبعة خاصة 2011، الجزء الأول، القسم الثاني، ص.5-6.
- 4- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج.1، ق.2، ص.6. — 5- المرجع نفسه، ج.1، ق.2، ص.7.
- 6- نفسه، ج.1، ق.2، ص.12. — 7- نفسه، ج.2، مقدمة الأصل الإنكليزي ص.11.
- 8- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج.1، ق.1، ص.9. — 9- المرجع نفسه، ج.1، ق.1، ص.12.
- 10- المرجع نفسه، ج.1، ق.2، ينظر قائمة البibliوغرافيا، صص 601-612.
- 11- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، عالم المعرفة - الجزائر، طبعة خاصة 2011، ج.2، ص.13.
- 12- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، عالم المعرفة - الجزائر، طبعة خاصة 2011، ج.3، ينظر قائمة البibliوغرافيا، صص 279-283. —
- 13- المرجع نفسه، ج.3، ص.11-12. — 14- المرجع نفسه، ج.2، ص.12. — 15- المرجع نفسه، ج.3، ص.11.
- 16- صابر بليدي، مقال في صحيفة العرب، (صحيفة عربية يومية تأسست في لندن سنة 1977)، بتاريخ 2013/12/22، العدد. 9417.
- 17- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج.3، ص.10. — 18- المرجع نفسه، ج.3، ص.11.
- 19- المرجع نفسه، ج.2، مقدمة الأصل الإنكليزي، ص.12. — 20- نفسه، ج.2، ص.9. — 21- نفسه، ج.2، ص.10.
- 22- نفس الجزء والصحة. — 23- المرجع نفسه، ج.3، ص.9. — 24- المرجع نفسه، ج.2، ص.7.
- 25- المرجع نفسه، ج.1، ق.1، ص.162. — 26- نفسه، ج.1، ق.1، ص.16. — 27- نفسه، ج.1، ق.1، ص.22.
- 28- نفسه، ج.1، ق.1، ص.31. — 29- المرجع نفسه، ج.3، ص.187.
- 30- نشرت هذه القصيدة في المجلة الآسيوية، ينظر مقال:

B.Vincent, vers sur la conquête d'Alger, in Journal Asiatique, troisième série, A l'imprimerie Royale, Paris, juillet 1839, Tome 8, PP503-505.

. أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج.1، ق.1، ص.88-89.

31- المرجع نفسه، ج.1، ق.1، ص.102. — 32- المرجع نفسه، ج.1، ق.1، ص.244.

33- Charles Saint-Calbre, Constantine et Quelques Auteurs Arabes Constantinois, in Revue Africaine, A.jourdan, Libraire- éditeur, Alger, A.Rnolet, Imprimeur-Libraire Rue du Palais- Constantine, Challamel Aîné, Libraire, Paris, Année 1913, Volume 57, PP77-78.

34- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج.1، ق.2، ص.405.

- 35- البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريقي وإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1998م، ج4، ص162.
- 36- الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: د. عبد الفتاح الحلو، مراجعة: د. أحمد مختار عمر ود. خالد عبد الكريم جمعة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مطبعة حكومة الكويت، ج29، ص295.
- 37- البغدادي عبد القادر بن عمر، المصدر نفسه، ج4، ص163. — 38- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ق1، ص39.
- 39- عمر أنسي البيروني (ت1293هـ/1876م)، ديوان المودع المذهب، جمعه ولده عبد الرحمن أنسي طيب، بيروت، ط1، 1313هـ/1895م، ص183. — 40- يقارن الاقتباس الوارد في الحركة الوطنية، ج1، ق1، ص15 مع نص سورة التور، الآية 40.
- 41- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ق1، ص23. — 42- سورة النجم، الآية 9. — 43- سورة البقرة، الآية 259.
- 44- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ق1، ص63. — 45- سورة الإسراء، الآية 18.
- 46- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ق2، ص592. — 47- سورة المائدة، الآية 64.
- 48- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ق1، ص153. — 49- سورة هود، الآية 78.
- 50- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ق1، ص156. — 51- سورة القصص، الآية 21.
- 52- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ق1، ص161. — 53- سورة الحجرات، الآية 11.
- 54- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج3، ص257. — 55- سورة آل عمران، الآية 119.
- 56- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ق1، ص41.
- 57- الترمذي محمد بن عيسى، باب ما جاء في الإحسان والعفو، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (د.ت)، ج4، ص364. — 58- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ق1، ص27.
- 59- الحميدي محمد بن فوح، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار ابن حزم- بيروت، ط2، 1423هـ/2002م، ج2، ص471. — 60- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ق1، ص26.
- 61- صابر بليدي، مقال في صحيفة العرب، بتاريخ 2013/12/22، العدد 9417.
- 62- مقال في جريدة صوت الأحرار- الجزائر بتاريخ 2013/12/22. وفي موقع: أ. الطاهر عمارة الأدهم بتاريخ الجمعة 26 ربيع الثاني 1435هـ/ 28 فبراير 2014م. <http://www.tahiramara.com/ar/permalink/3652.html>.
- 63- صابر بليدي، المرجع نفسه. — 64- المرجع نفسه.
- 65- مقال بعنوان: أبو القاسم سعد الله في ذمة الله، في ليبيا المستقبل - (متر إعلاني مستقل تأسس في يوليو عام 2003 بلندن)- بتاريخ 01/06/2014م، العدد: <http://www.libya-al-mostakbal.org/news/clicked/42916>.
- 66- أ. الطاهر عمارة الأدهم، المرجع نفسه.
- 67- ابن عبد البر الترمي، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، دار الكتب العلمية- بيروت، 1398هـ/1978م، مقدمة ج1، ص6.
- 68- ابن بشكوال خلف بن عبد الملك، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، اعتنى به ووضع فهرسه: د. صلاح الدين الحواري، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ط1، 1423هـ/2003م، ج1، ص244. ابن دحية الكلبي، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: أ. إبراهيم الأبياري، د. حامد عبد المجيد، د. أحمد أحمد بدوي، مراجعة: د. طه حسين، دار العلم للطباعة- بيروت، 1374هـ/1955م، ص226. المقرئ التلمساني شهاب الدين أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبط وتحقيق وتعليق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، 1361هـ/1942م، ج3، ص103.